

## الدعوة للطاعة الخادم ورسالته .. الدعوة إلى الكمال

بحثاً عن معايير الخدمة

الخادم ورسالته

الدعوة إلى الكمال (الجزء الرابع)

عندما نبدأ أي مسعى فإن الكمال هو المعيار. ومع إن قليلين هم من يحققون ذلك، فإن الشخص الذي لا يحاول الوصول إلى الكمال يُوصف بأنه معيب في الشخصية والطموح والعمل. أي ورشة نجارة أو ورشة آلات أو مختبر طبي يرغب في توظيف رجل يسخر من الكمال؟ إن أي مجتمع من الناس لا يسعى إلى الكمال يفقد ميزته التنافسية ويبدأ في النهاية في الانهيار. إن مفهوم الكمال ينبع من طبيعة الله. فقد غرسه في الخليقة وفي طبيعة الإنسان الأول المخلوق على صورته. لكن عندما أخطأ آدم، تغيرت روحه وانتقل هذا العيب إلى البشرية كلها. لذلك، فمنذ آدم فصاعداً، سعت البشرية فقط إلى الكمال في العالم الطبيعي وتخلت عن بحثها عن الكمال الأخلاقي والإيمان به. ويعتقد الناس أن الكمال الأخلاقي غير ضروري وأنه استحالة بشرية.

مرة أخرى، الله كامل في شخصه وروحه وفي جميع صفاته وأفعاله وردود فعله وأفكاره ونواياه. وقد وضع أول تواصل لفظي بين الله والإنسان معيار الكمال. "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين 2: 16-17). تبدأ علاقة الله بالإنسان بعدم التهاون مطلقاً مع الخطيئة (وليس بحب رقيق وشامل كما يقول اللاهوتيون الحديثون). هل لديك يا صديقي، تهاون مع الخطيئة؟ تأمل حياتك لترى إن كنت متناغماً مع الله.

والآن، عندما نبدأ الحديث عن الكمال هنا، فإننا نعني الطاعة الكاملة من جانبنا. ومن جانب الرب يسوع فإن دمه يقوم بعمل التطهير (يوحنا الأولى 1: 7). هذه هي الطريقة التي بدأت بها ملحمة الله والإنسان، ويمكنك رسم خط عبر الكتاب المقدس من سفر التكوين إلى نهاية سفر الرؤيا فتجد هذا: إن الله يطالب الإنسان بالطاعة الكاملة. لا يمكن المبالغة في التأكيد على أن

الله غير راضٍ عن مجرد "خلاصنا"، فهو يريد أن ياقدم كل واحد فينا إلى الكمال (عبرانيين 1:6). الطاعة هي الأساس الذي يُدان به الإنسان، ويُبارك أو يُلعن (تثنية 15:30-20). لذلك فإن الكمال ليس فقط المعيار الذي يقيس به البشر الأمور، لكنه أيضاً المعيار الذي به يقيس الله كل الأمور. الكمال هو أيضاً المعيار الكامل الذي يتحدد به مصيرنا الأبدي. لذلك نجد هذه الكلمات في ختام الكتاب المقدس: "طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (رؤيا 14:22). يقترن الأكل من شجرة الحياة بالطاعة، بحفظ وصاياه.

يتيح النص اليوناني هنا (رؤيا 14:22) أيضاً بهذه الترجمة: "طوبى لمن يغسلون ثيابهم، فيكون لهم الحق في شجرة الحياة" لا تعلق بشأن التناقض هنا. بالتأكيد لن يناقض الله ما قاله في جميع الأصحاحات السابقة من الكتاب المقدس. أي إن الطاعة هي جزء أساسي من خلاصنا. لذلك فإن ترجمة الكتاب المقدس تدعو أيضاً إلى الطاعة والمشاركة البشرية. في هذا السياق، يقدم لنا الرب يسوع دمه الثمين للتطهير، لكن على القديسين أن يغسلوا ثيابهم فيه بأنفسهم. هذا التعليم تدعمه الآية التالية: "هُؤْلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيْقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخُرُوفِ" (رؤيا 7:14). فلتفهم أنه عندما نبدأ كأطفال في المسيح، فإن الرب يسوع يقوم بالتطهير. إنه يغسل ثيابنا. "وَقَدْ غَسَلْنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ" (رؤيا 5:1). لا يمكن للأطفال غسل أنفسهم. ولا يمكنهم غسل ثيابهم بأنفسهم. ولكن مع خروجنا من مرحلة الطفولة، تقع على عاتقنا مسؤولية الحفاظ على طهارتنا. هذا ما ذكره بطرس أيضاً قائلاً: "طَهَّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ" (بطرس الأولى 22:1). انظر أيضاً (تيموثاوس الأولى 22:5؛ يوحنا الأولى 3:3). هل تدرك هذا؟ إن فكرة أنه "ليس عندي ما أفعله للوصول إلى السماء" هي فكرة من إبليس. لكن المجد كلع لله، لأن ذلك في النهاية هو عمله. "لَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسْرَّةِ" (فيلبي 2:13).

إن حقيقة أن الطاعة الكاملة يمكن بلوغها أمر واضح. لا يطلب الله أبداً من أي شخص أن يفعل أي شيء ما لم يقدم له النعمة (القوة) للقيام بذلك. لذلك كان آدم وحواء قادرين على الطاعة الكاملة. وبعد السقوط، حتى خارج الفردوس، نال الإنسان نعمة أن يكون كاملاً في جيله. كان نوح باراً و كاملاً في الطاعة، "كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللَّهِ" (تكوين 9:6). وينسب الكتاب المقدس إلى أيوب الكمال (أيوب 1:1). كرر الله طلب الطاعة الكاملة من إبراهيم: "أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرُّ أَمَامِي وَكُنُّ كَامِلًا" (تكوين 17:1). لم يبدأ الله الأمة اليهودية أو تاريخ الإنسان بدون أساس الكمال، والأمر بأن تكون قلوب البشر كاملة.

فتح الله قلبه لموسى في تلك الصرخة العميقة المؤلمة لروحه: "يَا لَيْتَ قَلْبُهُمْ كَانَ هَكَذَا فِيهِمْ حَتَّى يَتَّقُونِي وَيَحْفَظُوا جَمِيعَ وَصَايَايَ كُلَّ الْأَيَّامِ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ وَلِأَوْلَادِهِمْ خَيْرٌ إِلَى الْأَبَدِ" (تثنية 5:29). قال الرب يسوع ابن الله: "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (متى 5:48). يتفق بولس الرسول مع العهد القديم ومع الرب يسوع عندما يقول إن الرسالة النهائية لكل خادم؛ سواء أكان رسولاً أو نبياً أو كارزاً أو راعياً أو معلماً "لَأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِئِنِّيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ" (أفسس 4:12). ويدعو بولس كل رجال الدين "لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (كولوسي 1:28). ثم بضربة أساسية في هذا الموضوع، يقول بولس إن الكتاب المقدس بأكمله هو دعوة إلى الكمال. يقول بولس: "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبَرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (تيموثاوس الثانية 3:16-17). إن الطاعة الكاملة للمسيح تحضر الإنسان المسيحي إلى كل شيء: الشهادة والتقديس والحياة المليئة بالروح وملكوت الله والشركة المستمرة مع الرب ومع السماء. مرة أخرى، إن المهمة الأساسية للخادم هي أن يحضر الناس إلى الكمال. إلا إنه في كل هذا، عليك أيها الكارز ألا تنسى أن تنادي بالرحمة. لا تدفع الناس إلى اليأس. "إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (يوحنا الأولى 1:9).

هذا يطرح السؤال: من هم الناس في كنائسنا الذين يريدون أن يكونوا كاملين؟ الإرادة الجسدية لا تريد ذلك، بل الإرادة الروحية. يمكنك أن ترى أن الخادم المخلص لإرسالته الإلهية سيواجه نفس الصراع الذي واجهه الرب يسوع على الأرض. لقد رفض معظم الناس الرب يسوع لأنه "طلب الكثير". لقد قال إنه ما لم تترك كل شيء فلن يمكنك أن تكون تلميذاً له (لوقا 14:33). هنا مرة أخرى التهاون غير موجود. سيواجه جميع الخدام الأمانة هذا الصراع ما لم يخفضوا معاييرهم ويطلبوا أقل مما يطلبه الله. واكي يتجنب الخدام فقدان كنائسهم ومنابرهم، سيختار معظمهم تجنب الصراع. إنهم، على العكس من بولس، يرفضون تقديم الدعوة إلى الكمال. إنهم يرفضون التعامل مع الأمور الجسدية والفجور والروح الدنيوية لدى أعضاء الكنيسة. فتكثر الخطيئة في كنائسهم ويُسَاء استخدام النعمة.

الطريق إلى الحياة ضيق. احذروا الأنبياء الكذبة في ثياب الحملان (متى 7:14-15). يربط الرب يسوع بين المحبة والطاعة: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ" (يوحنا 14:15). يتطلب حضوره معنا طاعتنا له (يوحنا 14:23). إن أسرع طريقة لملاء مبنى الكنيسة هي

تقليل المعايير لتصبح أكثر "معاصرة". عندما قال بولس: "وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ" (رومية 12:2)، حذر من ذلك بالضبط. إن عبارة "وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ"، تعني عدم التوافق مع قيم هذا العالم أو موسيقى هذا العالم أو نماذجه أو أساليبه المعاصرة. لا تتركوا روح هذا العالم تدخل قلوبكم وكنائسكم. قال بولس: "بَلْ تَغَيَّرُوا"، وخذوا قيمكم ومعاييركم من السماء. تذكر كلمات الرب يسوع: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ" (يوحنا 18:36). عندما يأتي الناس إلى الكنيسة لا بد أن يشعروا على الفور أنهم في عالم مختلف؛ إنه عالم سماوي من القداسة والمحبة والفرح.

هناك روح عيسو في كثير من كنائسنا. فقد باع عيسو بكوريته بقدر من العدس بسبب شهوة الجسد. نحن بحاجة إلى روح يعقوب التي تريد الله بأي ثمن، حتى ولو كان ذلك على حساب إصابتها بالإعاقة. لا تتخذع! قال الرب يسوع: "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ..." (متى 5:48). وقال بولس إن الخدمة كانت لتكميل القديسين. يريد الله الكمال. علينا أن نعلم الناس أن يحبوا الله من كل قلوبهم وعقولهم وأرواحهم وقوتهم. عندما نفعل هذا، فلن نخطئ بإرادتنا بعد الآن. أي شيء أقل من هذه المحبة الشديدة سيؤدي إلى الفطور، ويجعل المؤمنين يقصرون عن الوصول إلى بر السماء (رؤيا 2:5). سيُلقي الإنسان العاصي في بحيرة النار. وكل من يفقد محبته الأولى، أي الإنسان الفاتر، سيتقيأه الرب يسوع (رؤيا 3:16). أيها الكارز، هل تنادي بهذا؟ يجب أن يعرف كل إنسان مسيحي ما ورد في (رؤيا 3:16)، وكذلك ما ورد في (يوحنا 3:16). عندما يولد الشخص ثانية، عليه أن يواجه ما ورد في (رؤيا 3:16)، على الفور. فإن لم يكن كذلك، فالأرجح أن يصبح مهملاً. أخيراً، لاحظ هذا، أن الكمال في الطاعة هو فقط المنصة التي يصبح من خلالها الكمال في المسيح ممكناً.

أيها الواعظ، كن أميناً في رسالتك. لا تساوم ولا تتهاون. وستكون قادراً يوماً ما على أن تقول: "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقْطُ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا" (تيموثاوس الثانية 4:7-8).